السفينة في المعجمية العربية
قراءة في آفاق القدرة والمرونة اللغوية
(٢)

بقلم: د. خالد فهمي إبراهيم*

ثانيًا– البنية الصغرى للمعجم:

بدا من تحليل البنية الكبرى للمعجم أنّ كندرمان كان حريصًا على تطبيقات النظام الألفبائي غير الجذري (الذي يراعى ترتيب الكلمات وفق صيغتها النهائية المستعملة)، وقد طبّق هذا النظام خارجيًّا (أو باب الألِف والباء والتاء... إلخ)، وداخليًّا؛ أي التزمه في داخل كل باب (فصول الثواني والثوالث... إلخ).

وقد كشف تحليل معلومتنا ما تحت المداخل عن حرص كندرمان على العناية بعدد من المعلومات الموزعة على نوعين هما:

أ– معلومات الشكل، والصيغة.

ب– معلومات المعنى، والمضمون.

وفي ما يلي تحليل لطائفة من النماذج تكشف عن ملامح عنايته بمعلومات البنية الصغرى الموزعة على معلومات التعليق على الشكل ومعلومات التعليق على المعنى:

١- أسطول، يفتح كندرمان معجمه بالمدخل (أسطول ص٢٣)، معلقًا عليها بعدد من معلومات الشكل والمعنى كما يلي:

أ- جمعها أساطيل/ وتنطق (صطول أيضًا) وأورد أنّ (أسطول) تستعمل بمعنى الجمع.

ب- اختلف في أصلها على قولين (عربية/إغريقية) معناها: المراكب الحربية المجتمعة.

ومن فحص هذا المثال نرى أنّ كندرمان اعتنى في التعليق على المدخل بالمعلومات التالية:

- معلومات الهجاء والنطق، "وتنطق: صطول أيضًا".

- معلومات صرفية، إذ ذكر أنها تستعمل: مفردة، وتستعمل فتعنى الجمع؛ ولعل ذلك راجع إلى أنّ الأسطول بطبيعته مجتمع من المراكب الحربية.

- معلومات الاشتقاق والتأصيل، إذ أورد قولين، بعربيتها، وإغريقيتها، وهو أمر مهم في السياق الحضاري.

- ذكر تعريفها، وهو أهم معلومات التعليق على المعنى.

- ذكر بعضًا من المعاني التي ظهرت واختصت بها بعض البيئات، وهو ما يخدم الإحاطة بمستويات الاستعمال للكلمة.

٢- تكنة، أورد كندرمان المدخل (تكنة ص٦٠) وعلّق عليها بمجموع التعليقات التالية:

أ- معلومات المعنى؛ التعريف (هي سفينة نقليات في البصرة وبغداد وما يجاورهما)؛ أي أنها مركب نقل محلية نهرية (وهي جسم سفينة من دون صارية أو شراع) (يتردد ذكرها في كتب الرحلات: وتصنع من شجر النخيل والقوت، وتستعمل في نهر الفرات، وتطلى بقار كثيف، وهي طويلة وعريضة، وتحمل في حدود ألفي قنطار (القنطار= ٥٠٠ كجم)، وبها حجرتان صغيرتان للبحارة مع صارية واحدة وستة مجاذيف/ وذكر بعض الرحالة: أنها سفينة حربية صغيرة، بأرضية مستوية.

- قرر أنّ أصلها تركي.

ب- معلومات الشكل، ذكر أنّ بعض من ذكرها قال إنّ التاء أصلها دال، وتحولتْ صوتيًّا.

من تحليل هذين النموذجين يتضح لنا ما يلي:

أولاً- وعي كندرمان بطبيعة ما ينبغي ذكره من معلومات ما تحت المداخل، مما له أثره في بيان معنى نوع السفينة موضع التعليق.

ثانيًا- عدم الانتظام في إيراد معلومات ما تحت المداخل، فثمة اضطراب يتعلق بنوعي المعلومات؛ حيث يفتتح التعليق أحيانًا بمعلومات الشكل، منتهيًا بمعلومات التعليق على المعنى، وفي أحيان أخرى يكون العكس فيبدأ بمعلومات التعليق على المعنى منتهيا بمعلومات التعليق على الشكل، أو نقلا من بعضها لبعضها، كما ظهر في المثالين السابقين.

ثالثًا- ثمة رعاية لما يمكن أن يسهم في المعلومات التاريخية والحضارية، تظهر من رعاية وظيفة السفينة، وحجمها، ومادة تصنيعها، وشكلها... إلخ.

رابعًا- العناية بمعلومات التأصيل اللغوي، إذ كان حريصًا على بيان الأصل اللغوي الذي تنحدر منه أسماء السفن المذكورة في المعجم.

ولمعلومات التأصيل هنا أهمية خاصة؛ لأنها كاشفة عن العلاقات التاريخية بين العرب وغيرهم، وعن العلاقات التجارية والاقتصادية مع العالم، وعن كثير من ملامح التاريخ الاجتماعي المحلي لعدد من الحواضر العربية... إلخ.

(٢/١/٢) ١٩٧٤م/ درويش النخيلى= السفن الإسلامية على حروف المعجم.

صدر هذا المعجم سنة ١٩٧٤م عن جامعة الإسكندرية بمناسبة اعتزامها إصدار كتاب يؤرّخ لتاريخ التجربة المصرية على امتداد العصور.

وكان الأمر موكلاً إلى الدكتور جمال الدين الشيال الذي ابتدأ العمل، ثم لحق بربه الكريم سنة ١٩٦٧م وخلّف وراءه عددًا من البطاقات، اعتمدها الأستاذ درويش النخيلي مصدرًا من مصادر معجمه هذا.

وسنقف في فحص هذا المعجم عند أقسامه التالية:

أ- المقدمة.

ب- النص (نص المعجم).

ج- الكشافات (فهارس المعجم).

(أ)

المقدمة

افتتح درويش النخيلي: السفن الإسلامية على حروف المعجم بمقدمة تضمنت ما يلي:

أولاً- ظروف الدعوة إلى إنجازه، إذ يكشف أنه صنع ليكون ملحقًا لكتاب ضخم يؤرخ للبحرية المصرية دعت إليه، وكلّفت به ورعته جامعة الإسكندرية (ص١ من المقدمة) و"وارتأت أن يلحق بهذا الكتاب معجم يتناول دراسة منفصلة لأنواع السفن التي عرفها العالم الإسلامي".

وقد مر هذا المعجم بمرحلتين هما:

الأولى: مرحلة البدء، شرع فيها الدكتور جمال الدين الشيال المتوفى سنة ١٩٦٧م، "وجمع بعض مواد هذا المعجم في بطاقات" ولم يكمل الرجل ما بدأه؛ إذ لحق بربه الكريم في الثاني من نوفمبر سنة ١٩٦٧م.

الأخيرة: مرحلة الإتمام، أتمها الأستاذ درويش النخيلي، إذ كلّفته "اللجنة المشكلة بجامعة الإسكندرية بأن (يشرع) في ما لم يبدأ فيه... الراحل ليخرج الملحق الخاص بالسفن بالصورة العلمية المناسبة" وأمدّته بالبطاقات التي سبق أن جمعها الدكتور جمال الدين الشيال.

وقد كشف النخيلي عن مصادره التي اعتمدها في إنجاز هذا العمل، وتمثّلت في ما يلي:

١- بطاقات الدكتور جمال الدين الشيال التي كان جمعها قبل وفاته؛ يقول: "رأيت أن يكون عنوان الكتاب هو: السفن الإسلامية على حروف

المعجم... على أن يكون: معجم السفن العربية، المخطوط (للدكتور جمال الدين الشيال) واحدًا من المراجع التي رجعت إليها في تأليف هذا الكتاب".

٢- كتاب هانز كندرمان، عن السفينة في اللغة العربية الذي سبق الكلام عنه هنا في هذه المقالة.

٣- مجموعة من المصادر التاريخية والجغرافية والأدبية وكتب الرحلات والمعجمات ودواوين الشعراء وغيرها، أحال عليها في قائمة المراجع.

ومن جانب آخر فقد سكت النخيلي عن أمور مهمة هي:

١- بيان منهج المعجم، وترتيب مداخله.

٢- إرشادات استعمال المعجم.

٣- أنواع المعلومات المذكورة في المعجم.

٤- ترتيب المعلومات المذكورة تحت كل مدخل.

ولعله سكت عن بيان طريقة الترتيب اكتفاء بما ورد في عنوانه من أنه على حروف المعجم!

(ب)

نص المعجم

جاء المعجم (السفن الإسلامية على حروف المعجم) مرتَّبًا على النظام الألفبائي الذي يراعي شكل الكلمة النهائي في الاستعمال؛ أي من دون اعتبار للجذور، وهو نظام شائع في العصر الحديث من شأنه أن يحقق ما يلي:

أولاً- التيسير على المستعملين.

ثانيًا- التخلص من مشكل الكلمات الأعجمية التي لا جذور لها.

وقد تغلب على ما يمكن أن ينشأ من تشتيت للكلمات المترابطة بتطبيقات الإحالة التي صنعت تماسكًا معجميًّا، وتغلبت على التشتيت المتوقع!

وتتلخص طريقة النخيلي في بناء معجمه في المحورين التاليين:

أولاً- البنية الكبرى للمعجم، حيث بناه وفق الترتيب الألفبائي خارجيًّا، حيث رتبه أبوابًا على حروف المعجم، لكل حرف باب هجائي، ورتبه داخليًّا وفق المنهج نفسه كذلك، فراعى الثواني والثوالث وفق ترتيبها الألفبائي.

ثانيًا- البنية الصغرى للمعجم، حيث ضمّنه مجموعة من المعلومات تحت كل مدخل تضمنت ما يلي:

١- التصريف والاشتقاق لكل مدخل/ كلمة.

٢- تاريخ استعمال الكلمة/ المدخل.

٣- التأصيل اللغوي للكلمة.

٤- نقل نصوص استعمل فيها اللفظ/ المدخل.

٥- دلالة المدخل (نوع السفينة).

٦- ذكر مكافآته الترجمية في عدد من اللغات الأوربية، كالإنجليزية، والفرنسية، والإيطالية، والألمانية.

٧- توثيق المدخل عند من سبق أن ذكره، أو علّق عليه.

وفي ما يلي فحص تحليلي لعدد من أسماء السفن تكشف عن منهجية النخيلي في بناء المعجم:

- في التعليق على مدخل (الإبريق) يذكر النخيلي: المدخل (إبريق) دون "ال" مطبوعًا بحجم طباعي مائز (أسود غليظ) في مساحة مستقلة في السطر، وهذا التحرير الطباعي أمر مهمّ للمستعمل ثم يورد تحته ما يلي:

١- موجز لمعلوماته اللغوية (الصرفية) فيقرر أنه: في اللغة: الإناء وأنه مفرد جمعه: أباريق.

٢- موجز لمعلومات التأصيل، فيقرر: أنه من أصل فارسي، ذاكرا:

أ- أصله في لغة الأصل وهو: آب رى/ أبريه/ أبريز.

ب- توثيق تأصيله من المعرب للجواليقي (ص٢٦٥).

ج- نصوص استعماله في العربية، فيذكر الشاهد القرآني: ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ﴾ [سورة الواقعة ١٧/٥٦].

٣- تاريخ استعماله، فيقرر أنه مستعمل منذ القرن ١٩م.

٤- ذكر دلالته ونوعه وأنه سفينة حربية خفيفة كانت تعمل في البحر الأبيض المتوسط، ويقرر أنّ معرفة العثمانين لها ربما تعود إلى القرن ١٨م، وأنها كانت ضمن قطع الأسطول المصري.

٥- نقل نصوصًا من الجبرتي تفيد صناعتها في عهد محمد علي.

٦- ذكر مكافآته الترجمية، فالإبريق في الإنجليزية Brig، وفي الفرنسية Brick, Brigantin، وفي الإيطالية Briganlime أي: سفينة القرصان.

٧- تطور المعنى، إذ أطلق في بعض الكتابات على المركب الشراعي ذي الصارين، والقلوع المربعة، المزوّد بمدافع، ولكن الدكتورة سعاد ماهر فرقت بين اللفظين الفرنسيين ليكون هو الإبريق ويكون الأخير (برجنتين) للسفينة الحربية الصغيرة الخفيفة.

٨- وقد قصر النخيلي في مجموعة من المعلومات من مثل:

أ- معلومات النطق وإن كان واضحًا بالصور الإيضاحية (الموضحات).

وفي التعليق على مدخل (كشاف) بتشديد الشين المعجمة، الذي يذكره وفق العادة في سطر مستقل (مساحة طباعية مائزة) وبحجم طباعى مائز (أسود/غليظ) يقرر ما يلي :(ص١٣٢-١٣٣).

١- معلومات النطق، وإن أوردها في الهامش السفلي مرموزًا إليها بعدد من النجمات وردت بجوار المدخل. وقال: بتشديد الشين المعجمة، وطريقة قديمة حاسمة تعرف باسم الضبط بالتقييد.

٢- معلومات التعليق على المعنى التي تدور حول ما يلي:

أ- نوع السفينة، فهي "من سفن المدرعات الحربية"، وهي نوعان: نهرى/ ورائد.

ب- تاريخ ظهورها واستعمالها، فهي مستعملة من تاريخ العثمانيين في حوض البحر الأبيض المتوسط في النصف الثاني من القرن ١٩م.

ج- ذكر مرادفاته اللغوية، ويعرف هذا النوع باسم رائد.

١- معلومات موسوعية، تدور حول ما يلي:

أ- ذكر مكافئه الترجمى: "ويعرف هذا النوع باسم رائد أو مونيتور Monitor

ب- بعض من استعمله من غير العرب والمسلمين "وقد استخدمه الفرنسيون هذا النوع من المدرعات في هجوم على تونس في عام ١٨٨١م.

ج- عدد ما كان يملكه العثمانيون (ثلاث قطع)، وطوله (٥٣م/٦٨م).

٢- نقل نصوص داعمة للمدخل واستعماله.

٣- توثيق معلومات في الهامش السفلي.

ويلاحظ على معالجة النخيلي لمعلومات ما تحت المداخل ما يلي:

أولاً- الاضطراب التنظيمي؛ بمعنى أنه لا توجد خطة يخضع لها ترتيب المعلومات الصانعة لأفق التعليق على المدخل/ الكلمة، فهو يبدأ أحيانا بمعلومات التعليق على الشكل (المعلومات الصرفية وغيرها)، وفي أخرى يبدأ بمعلومات التعليق على المعنى (الأنواع، والتأصيل وغيرهما).

ثانيًا- عدم الاطراد في نوع المعلومات المذكورة، بمعنى أنه لا يميّز بين المداخل في التعليق.

صحيح أنّ جسم التعليق الأساسي ثابت وهو يتركز حول:

أ- المعنى، أو نوع السفينة.

ب- تتبع تاريخ استعمالها.

ج- مستوى الاستعمال، أو لابسات الاستعمال.

ولكن عدم الاطراد، وهو ما يعني غياب بعض المعلومات أو حضورها ظاهر، فمعلومات الهجاء، ومعلومات الصيغة، ومعلومات الاشتقاق لا تظهر باستمرار مع كل مدخل.

(ج)

الكشافات (فهارس المعجم)

ألحق الأستاذ درويش النخيلي بمعجمه كشافين أساسيين، هما:

١- كشاف (فهرس) أسماء السفن، وجعله على فرعين:

أ- بالعربية.

ب- بالإفرنجية.

٢- كشاف (فهرس المصادر والمراجع)، وجعله قسمين هما:

أ- المصادر والمراجع العربية.

ب- المصادر والمراجع الأجنبية.

ورتبهما ألفبائيًّا، وفق الشكل النهائي المستعمل لأسماء السفن، وزاد صفة نوعية إيجابية على كشاف أسماء السفن العربية، وهي أنه كان يذكر بجانب الوحدة من المعلومات المكشفة: بعض المعلومات الصرفية بين هلاليين (انظر: إبريق (ج: أباريق) وأشكيف (جمع: أشاكيف وأشكيفات) وبراكية (جمع: بركان) وهكذا).

وفي الكشاف الإفرنجي لأسماء السفن الذي جاء مرتبًا وفق النظام الألفبائي أيضًا فاته أن يضع أمام كل اسم نوع لغته، ولا سيما أنه كان يذكر مكافآت ترجمية من لغات كثيرة كالإنجليزية والفرنسية والألمانية والإيطالية.

أمّا الكشاف الخاص بالمراجع والمصادر، فقد اعتمد اسم المؤلف وفق المشهور مدخلاً للترتيب، من غير ترقيم!

ولم يخصص النخيلي جزءًا للملاحق من أيّ نوع، متخلفًا عن سابقه كندرمان.

(٣) مصطلح السفينة:

قراءة في نتائج التأصيل اللغوي

كان التأصيل اللغوي من المعلومات التي انشغل بالعناية بها أصحاب معجمات السفينة في العربية، مما مر التوقف أمامها.

وفحص هذا النوع من معلومات ما أورده هؤلاء المعجميون تحت المداخل في سياق التعريف والتعليق على أسماء السفن العربية الإسلامية قائد إلى نتائج مهمة وخطيرة في سياق تقدير اللسان والحضارة العربيتين معًا.

(١/٣) العربية تنجح من جديد.

إنّ كثيرًا من أسماء السفن التي جمعها أصحاب معجمات السفينة في العربية جاء عربيًّا خالصًا، وهو ما يفتح الباب أمام القدرات الهائلة التي يمتلكها اللسان العربي، ومن طريقها استطاع توليد الأسماء الكثيرة المتنوعة لأنواع السفن.

وكانت أكثر طرق توليد أسماء السفن ظهورًا في الإنتاج والتفعيل متمثلاً في ما يلي:

(مظاهر الاستحداث)

أولاً– الاشتقاق

إنّ الاشتقاق طريق أصيلة في توليد الألفاظ، وهي من خصائص النظام اللغوي للسان العربي؛ إذ العربية لغة اشتقاق، به تنمو ويزداد رصيدها من الكلمات.

وقد لجأ معجم السفينة إلى الاشتقاق لمواجهة سد العجز الذي كان يمكن أن ينشأ في هذا الميدان، وقد اتخذ الاعتماد على الاشتقاق أشكالاً متنوّعة من مثل استثمار المشتقات التالية:

أ- اسم الفاعل، في مثل: الباخرة/ الباهرات/ الجارية/ سابقة/ قارب، وغيرها.

ب- صيغ المبالغة، في مثل: حمالة (حمالات)، ودكاسة، وطراد/ طيارة/ وكشاف/ ومصباب/ ونقالة، وغيرها.

ج- الصفة المشبهة باسم الفاعل، في مثل: سميرة/ وطريدة/ وغيرها.

د- اسم المفعول، في مثل: مخروط/ومركوش/ومسطح/وملقطة؛ وغيرها.

هـ- اسم الآلة، في مثل: ماعون/ومعبر (معابر)/ومعدية/ومقلقة/ وغيرها.

وقد لجأ معجم السفينة إلى استثمار المصادر في باب التسمية أيضًا مما استثمره في هذا الفرع ما يلي:

أ- المصادر الطبيعية القياسية، في مثل: رمث تطريدة وغيرهما.

ب- المصادر الصناعية، في مثل: بحرية/ ورباعي/ ومدفعية/ وغيرها.

ج- المصادر الميمية، في مثل: معاش، وغيره.

ثانيًا- الانتقال الدلالي

التحويل أو النقل الدلالي طريق مأنوسة في زيادة الثروة اللفظية في اللغات المختلفة، وهو تغيير دلالة الكلمة بطريق من الطرق المعروفة، توسيعًا أو تضييقًا، أو بغيرهما من طرق التحويل، كالاستعارة والتشبيه، والمجازات.

وقد لجأ معجم السفينة إلى هذا الباب فاستثمره في خلق أسماء كثيرة من أسماء السفن، ومن ذلك:

- الانتقال الدلالي بسبب المشابهة، في مثل: حمامة/وعقاب/وغراب/ وغيرها.

وكما نلحظ فقد غلب نقل أسماء للطيور للمناسبة الطيران والحركة والسرعة، وهو ما أرداه المعجم لبعض تسميات عدد من السفن، وربما روعي الشكل أيضًا!

ثالثًا- التعريب

التعريب أو نقل الكلمة الأجنبية بأصواتها بعد توفيق أوضاعها، لتلائم الأوزان العربية طريق معروفة أيضًا في تنمية الثروة اللفظية في العربية، وهي هنا مستقيمة مع المنطق الذي يقضي بأنّ الذي يحكم النقل من اللغات هو كون المنقولات من الألفاظ الحضارية المستحدثة، ومن ذلك: جالير (من الفرنسية للسفينة الشراعية)، والجنك (من الصينية للمركب الكبير)، والشباك (من الإسبانية لمركب الصيد) والشلندي (من اللاتينية للسفينة مقاتلة).

إنّ هذه الطرق هي الوسائل المعروفة للتدخل العمدي عند إرادة صناعة قائمة خاصة بمجال معيّن أو استحداث قائمة بعينها.

صحيح أنّ كثيرًا من هذه التسميات للسفن العربية، لم تضعه مجامع بعينها، ولكن وضعه الصناع و المستعملون، وهو ما يدل على ملكة لغوية مستقرة في العقل الجمعي العربي، مكّنته عند الضرورة من وضع معجم كامل للسفينة في اللسان العربي، مستثمرًا إمكانات اللغة الاشتقاقية،

ومستثمرًا الطاقات الكامنة في بنيتها من جهة الانتقال الدلالي، بالاستعارة والتشبيهات والمجازات، ثم ناقلاً للتسميات من ألسنتها الأجنبية بعد إجراء نوع توفيق صيغي لتتلاءم المعربات مع قوانين الأبنية الصرفية في النظام اللغوي العربي.

وقد اتضح أنّ الاستحداث (التوليد) اتخذ الشكلين النظاميين المستقرين في علم المصطلحية وهما:

أ- استحداث علاقات بين الدال (اللفظ) والمدلول.

ب- استحداث دوال (توليد ألفاظ جديدة).

(٢/٣) العلاقات الحضارية للعربية:

في ضوء نتائج التأصيل اللغوي لأسماء السفينة في العربية.

إنّ فحص الطريق الأخيرة من طريق وضع أسماء السفن في العربية، وهو طريق التعريب يكشف عن مجموعة من العلاقات المهمة في سياق قراءة نتائج التأصيل اللغوي لأسماء السفن العربية الإسلامية قراءة حضارية هي كما يلي:

أولاً- الانفتاح على العالم.

عكست قراءة طريق التعريب أنّ الأمّة العربية الإسلامية فهمت الطبيعة الحيوية للإنسان، إن بتأثير الإسلام أساسًا، وإن بطبيعة التطور والحاجة المادية للحياة التي تحمله على الانفتاح على العالم، وتبادل ناتج المواهب، ونقل ما يسبق إليه غيره من مستحدثات الحضارة.

وقد ظهرت من خلال اللغات التي أمدّت المعجم العربي بأسماء عدد من السفن الطبيعية المنفتحة للإنسان العربي المسلم على الوجود الخارجي، من أمم الشعوب المطلّة على البحار، فظهرت الإسبانية والفرنسية والإنجليزية والإيطالية، والصينية والفارسية، سواء كان النقل منها بطريق مباشرة أو غير مباشرة وهو ما يعني أنّ أغراض التجارة بالأساس ما تزال حاسمة في تعيين مباحث التأصيل اللغوي ولاسيما عند الاختلاف حول أصول بعض الكلمات.

ثانيًا– مرونة العقل العربي المسلم

لقد كشفت نتائج التأصيل كذلك في باب أسماء السفن عن قدر من مرونة العقل العربي المسلم، و ابتعاده عمّا يسمّى بقيم السلفية السلبية، ذلك أنّ علاقات التبادل، والتأثر طالت أممًا وشعوبًا غير مسلمة، وهو نوع وعي قادر على التفرقة بين المعتقد وطبائع المعاش، وأنّ اختلاف المعتقدات غير مانع من التعايش والتعاون المشترك.

ثالثًا– قابلية الإنسان العربي للإنجاز الحضاري المادي.

لقد أظهرت نتائج التأصيل والتحليل الدلالي لعدد من أنواع السفن، ولاسيما في باب المكوّنات والصناعة للسفن أنّ الإنسان العربي حصل مجموعة كبيرة من قيم العلم التطبيقي، وحاز قدرًا كبيرًا بالتجربة والتحصيل من معلومات الكيمياء والفيزياء والفلك والهندسة والرياضة وغيرها ظهرت في كثير من التفاصيل الدقيقة التي تتعلق بصناعة السفينة في المجتمعات العربية على امتداد تاريخ التعامل مع السفن.

رابعًا– قابلية المجتمع العربي للتطوير

إنّ قراءة معجم السفينة كاشف عن كثير من الطبائع الاجتماعية التي تطورت بسبب من الصناعة البحرية طالت المناطق التالية:

١- التقسيم الطبقي، والتوزيع السكاني.

٢- تطوير الملابس والأزياء.

٣- تطوير أنواع الطعام والغذاء.

٤- تطوير صناعات بأثر من الارتباط بالبحر، كصناعات المعادن، والحبال، والدهانات، والأطعمة، وغيرها.

إنّ هذه العلاقات تكشف عن كثير من التغيّر أصاب الحياة العربية والإسلامية في كثير من المناطق بسبب دخول صناعات السفن إليها.

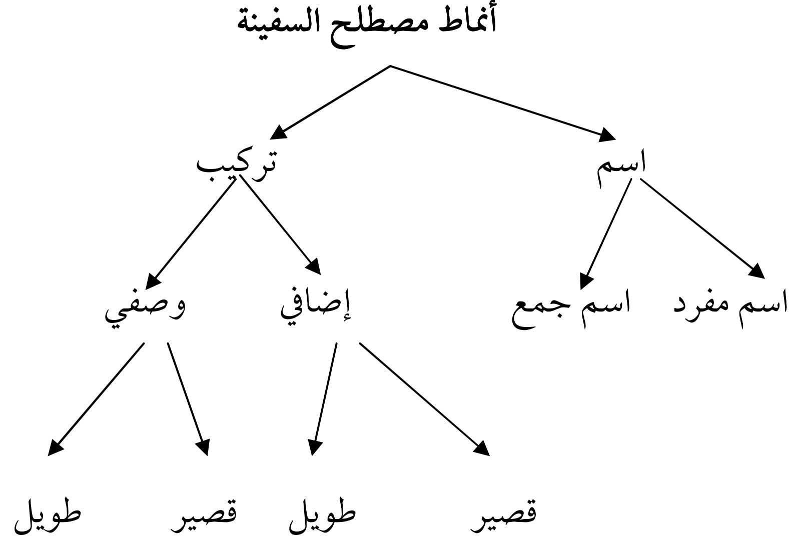
(٤) مصطلح السفينة: أنماطه ودلالاته.

إنّ فحص مصطلحية السفينة في المعجمية العربية من جهتي بنية الصيغ الحاملة لها، ومن جهة أنواعها ووظائفها الدلالية تكشف عن كثير من الأمور.

(٤/١) أنماط مصطلح السفينة

تنوّعت أنماط مصطلح السفينة تنوعًا ظاهرًا، لأسباب لغوية في المقام الأول، من أجل أن تقدر على استيعاب كثرة الأنواع.

وقد اتخذت الأنماط أشكالاً لغوية متنوعة، يمكن إجمالها في المخطط التالي:



١- نمط الاسم المفرد، بتنوعاته المختلفة، من مثل:

آمرة/ وأسطول/ وأفروطة/ وبالوع/ وجفن، وغيرها.

٢- نمط الاسم الجمع، بتنوّعاته المختلفة، من مثل:

بوص/ وديارب/ ومعاشات وغيرها.

٣- نمط التركيب، بتنوعاتها المختلفة، كما يلي:

أ- التركيب الوصفي القصير (موصوف + صفة): من مثل: جفن بحري/ وجفن حربي/ وزورق حربي/ وشختورة مزدوجة/ وغيرها.

ب- التركيب الوصفي الطويل (موصوف+ صفة+ محول للصفة): من مثل: الزواريق المقلة المعدة للعبور/ والسفن الخفيفة المستعملة للعبور وسفينة حاملة للبضائع، وغيرها.

ج- التركيب الإضافي القصير (مضاف + مضاف إليه)/ من مثل: زوارق الصنادل/ وصندل التوربيد/ وعشارى الخدمة، وغيرها.

د- التركيب الإضافي الطويل (مضاف+ مضاف إليه+ حرف عطف+ اسم معطوف) من مثل: مراكب النزهة والتفرج/ وسفينة النقل والشحن وغيرهما.

وفي داخل كل نمط من هذه الأنماط يمكن ملاحظة تنوعات فرعية تنتمي إليها.

وقد جاء هذا التنوع لأغراض لغوية دلالية في المقام الأول تتعلق بوفرة الوظائف التي اضطلعت بعبء القيام بها هذه السفن في الحضارة العربية والإسلامية.

(٤/٢) دلالات أنماط مصطلح السفينة في العربية.

إنّ مراجعة تحليل ما مر من أربعة الأنواع الكبرى لأنماط الصيغ التي جاءت وفقها أسماء السفن في الحضارة العربية والإسلامية تكشف عن استثمار السفينة في مجالات الحياة المختلفة على الأصعدة الاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية، وهو ما يمكن ملاحظة في مجموعة الوظائف التالية التي ذكرتها معجمية السفينة، للأنواع المختلفة:

أولاً- الوظيفة الاجتماعية.

حددت معجمية السفينة في العربية مجموعة من وظائف بعض أنواع السفن تخدم الاجتماع الإنساني ملاحظتها في الميادين التالية:

١- السفر والانتقال من مثل: بابور/ وفلوة/ (لتعدية الناس)/ السفن الخفيفة المستعملة للعبور، وغيرها.

١- العمل (الصيد) و(المعاش): من مثل: مراكب المعاش/ أعوادى/ وغيرها.

٣- النزهة والتفرج، من مثل: الأهورة (تستعمل للنزهات)/ وسفن النزهة.

ثانيًا- الوظيفة الاقتصادية والتجارية

حددت معجمية السفينة في العربية مجموعة من وظائف بعض أنواع السفن تخدم النشاط التجاري والاقتصادي، تتمثل في الشحن، ونقل الغلال والحب وبقية أنواع السلع؛ من مثل: سفينة تجارية/ وسفينة حاملة للبضائع/ وسفن الشحن/ وغيرها.

ثالثًا- الوظيفة السياسية (الحربية)

كانت هذه الوظيفة أكثر الوظائف ظهورا في معجمية السفينة العربية، وهو ما يعني استثمار السفينة لأغراض الجهاد والدفاع عن مقدرات الأمّة على امتداد تاريخها حتى غدا الأسطول الإسلامي في بعض مراحل التاريخ سيد البحار، وأهم ما يظهر من تسميات جمهرة السفن العربية ما يلي:

أ- القتال، وهو ما يظهر من عدد من السفن نص المعجم العربي، على أنها للجنود المقاتلة: من مثل: حديدية/ وغراب... إلخ.

ب- الخدمات المعاونة، كنقل الجنود، والأسلحة: من مثل: برهاني/ وبنف/ وفلوكة... إلخ.

ت- الهجوم المسلح، من القذف، ورمي الأهداف وغيرها، من مثل: أوج عنبرلى/ وبارجة/ وحراقة... إلخ.

ث- الإمداد والتموين، من حمل الأزواد، والطعام والمياه للمقاتلين، من مثل: شينى/ وقربلة... إلخ.

ج- التدريب العسكري.

إنّ هذه الوظائف الكبرى التي وردت في أثناء التعليق على معاني مدخل/ أسماء السفن العربية والإسلامية تمثّل بابًا مهمًّا في دراسة تطور استعمالها في الحياة العربية.

(٥) مصطلح السفينة في العربية: مقالة في آفاق الاستثمار

إنّ ما نشأ من أسماء شكلت معجم السفينة في العربية لم ينل حظه الكافي من الاستثمار المعرفي.

ومن الممكن أن يفتح هذا المعجم الباب أمام تطوير عدد من المسائل في المجالات العلمية المختلفة، وفي ما يلي محاولة لبيان عدد من المجالات التي يمكن استثمار مصطلح السفينة لتطويرها:

أولاً- مجال الدفاع عن قضية التعريب.

تاريخ الدفاع عن استعمال العربية في العلوم الحديثة تاريخ ممتد، اعتمد فيه أنصار هذا التوجه على أدلة تاريخية في الغالب للانتصار لقدرة اللسان العربي على استيعاب العصرية. ولكن إعادة طرح القضية في ضوء ما قدّمته اللغة العربية لمعجم السفينة، وأسمائها، وأسماء أجزائها التي تتكون منها بالفرق التوليدية المختلفة يمكن أن يقدم دليلاً عمليًّا تطبيقيًّا ينضاف إلى مجموع الأدلة التاريخية في بابي الدفاع عن التعريب، والدفاع

عن قدرات اللسان العربي في القيام بواجب استيعاب علوم العصر الحديثة.

ولاسيما أنّ اللغة برهنت على أنها تملك مسارات متنوّعة لسد الفجوات المعجمية التي يمكن أن تنشأ في هذا المجال الجديد الذي لم يكن للعرب سابق تقدّم فيه.

ثانيًا– مجال دراسات التأصيل اللغوي في ما حوله خلاف في أصوله من الكلمات.

تكشف العلاقات التاريخية التي قامت بتأثير العلاقات التجارية والحربية التي كانت السفينة بطلتها عن إمكان حسم الجدل الدائر حول عدد من الألفاظ الأعجمية التي اقترضها اللسان العربي من اللغات الأخرى.

إنّ فحص أماكن الاستيراد، والمواد المستوردة يمكن أن تقدم الكثير في هذا الباب اللغوي المهم؛ ذلك أنّ الكلمات عندما تسافر تحمل معها خصائص البيئة التي سافرت وهاجرت منها.

ثالثًا– مجال التاريخ الاقتصادي والاجتماعي.

من الملاحظ قلة الاعتماد على التحليل المعجمي، واتخاذه مصدرًا من مصادر إعادة كتابة التاريخ ومع أنّ ثمة تجديدًا في مناهج كتابة التاريخ، وفي الموضوعات التي يتناولها الدرس التاريخي، فإنّ الاعتماد على المعجم لا يزال متأخر الرتبة بشكل ملحوظ جدًّا.

وفحص معجمية السفينة قادر على أن يمدّنا بمجموعة طيّبة من النتائج التي من شأنها أن تسهم في تطوير بحوث التاريخ ولا سيما الاقتصادي والاجتماعي.

لقد طوّر المجتمع العربي والمسلم من وظائف السفينة، واستعملوها في التجارة والنقل، مما نشأ عنه نوع علاقات ومجتمعات جديدة اكتسبت من ورائها مجموعات بشرية عديدة خصائص، ومعارف، وأنماط معيشية نوعية.

وربما قاد تحليل معجمية السفينة إلى تقديم نتائج جديدة تتعلق بمجتمع التصنيع وقواعده، ومواده، والصناعات التي قامت حولها، وحركة نقل البضائع، وحفظها في أثناء رحلة النقل، وتطور تاريخ الأطعمة، وأنظمة الطهي، وغير ذلك من المباحث التاريخية التي لم يستثمر معجم السفينة في تطويرها حتى اليوم.

رابعًا- مجال الدراسات العسكرية والاستراتيجية.

بدا من بعض الفقرات السابقة أنّ واحدة من كبريات وظائف السفينة في الحضارة العربية والإسلامية كانت ماثلة في الاستعمالات الحربية والعسكرية، وأظهرت الدراسة أنّ هذه الوظيفة الحربية تفرّعت وتوزّعت على مجموعة من الوظائف المنضوية من مثل أعمال القتال، والهجوم المسلح بالقاذفات والإمداد والتموين، وخطط الهجوم، وتوزيع المهام... إلخ.

خامسًا- الدراسات الحضارية.

إنّ دراسة معجمية السفينة في الحضارة العربية والإسلامية يمكن أن تسهم في دراسة الأبعاد الحضارية المادية التي مكنت العقل العربي، من

استيعاب صناعة السفن، وتطويرها، والعلوم المستعملة فيها وربما أمكن أن تقدم إجابة عن غياب السفينة في الحضارة الإسلامية عن تاريخ القرصنة بشكل ملحوظ[1].

(انتهى)

الهوامش:

* كلية الآداب- جامعة المنوفية- المنوفية- مصر.

(١) يلحظ دارس تاريخ القرصنة غيابًا شبه كامل للسفينة العربية والمسلمة عن القرصنة بالمفهوم السلبي (الجريمة) وهو ما يمكن أن يكون محور الدراسات أخلاقية وحضارية بتأثير الإسلام. انظر: تاريخ القرصنة في العالم، لياتسيك ماخوفسكي، ترجمة الدكتور أنور محمد إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، سنة ٢٠٠٨م.